القيم الأخلاقية والمواقف الانسانية ، وأثرها في نشر اللغة العربية في العالم .

أ. د. محمد مهداوي

لا تتبوأ اللغة العربية مكانتها العالمية،- التي كانت لها من قبل-، إلا باستقامة أهلها في حياتهم اليومية، واعتزازهم بشخصيتهم ، وحبهم لأوطانهم ، والافتخار بنسبهم وعروبتهم والعمل على استخدام اللغة العربية، على جميع الأصعدة ، العلمية وغير العلمية داخل المجتمعات العربية أولا ،ولا يتم ذلك إلا بإصدار قرارات إلزامية للشركات والمؤسسات العمومية والخاصة، والإدارة العمومية .

و بالإضافة إلى ذلك،يجب دعوة المجتمع العربي، إلى العودة بحزم إلى ما كان عليه الآباء والأجداد في تعاملهم فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الغرباء من صدق وإخلاص وتعاون وأخلاق وغيرها من القيم النبيلة التي كانت سببا – في كثير من الأحيان - .. في نشر الاسلام واللغة العربية ، في ربوع العالم ، عن طريق هذه القيم الأخلاقية والمواقف الانسانية النبيلة ،وليس عن طريق القوة أو الحرْب كما يزعم المغرضون .

إن مجتمعاتنا العربية جميعها، تعاني من مشكلة اللغة ،بحيث لا توجد دولة عربية واحدة، تستخدم اللغة العربية الفصحى في الحياة اليومية العادية ، سواء على مستوى الحياة الاجتماعية العامة ،أو على مستوى المعاملات الرسمية في دواليب الدولة .ففي دول المغرب العربي مثلا، نجد اللغة الفرنسية تزاحم اللغة العربية، إن لم نقل العكس هو الصحيح ، على جميع الأصعدة ،ولم تسلم منها حتى اللهجة العامية .

وفي دول المشرق العربي ، نجد اللغة الانجليزية هي المسيطرة، في بعض دول الخليج العربي ،حتى ليشعر الشخص وهو يتجول بين أسواقها وشوارعها ، أنه في دولة غير عربية ،ذلك لقلة سماعه للحرف العربي، في الحياة الاجتماعية والأسواق التجارية وغيرها .ولعل السبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى، إلى ضعف الشخصية العربية الحديثة، التي أصبحت تعيش نوعا من الإحباط ، نتيجة الموروث الاستعماري من جهة ،والأحداث الخطيرة التي تعيشها اليوم،- معظم الدول العربية- من جهة ثانية ،هو ما جعلها تطبق مقولة العلامة ابن خلدون «المغلوب يقلد الغالب في كل شيء « .١

ولذلك يتحمل العرب اليوم مسؤوليتين متلازمتين، مسؤولية البناء القيمي والثقافي ، بمعنى استيعاب القيم والمبادئ الإسلامية في ذاتها، ومسؤولية البناء الايجابي ، ونعني بذلك تجسيد تلك القيم ، في الواقع الموضوعي العام.

و ليس أمام العرب كثير أو قليلٌ من وقت يقضونه، انتظاراً ليوم العمل الجاد، المنظم المستجمع موضوعياً لأسباب النجاح، من أجل أن تستعيد الأمة العربية هويتها المتميزة، وموقعها المتقدم، أو على الأقل حتى تحافظ على بقائها الحالي، من غير تدهور أكبر، يسيء إلى وجودها أكثر، من هذا السوء الذي تعيشه . فأين نحن من قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»٢

لا شك أنه يوجد تخلف كبير ، على مستوى وعي المسئولية والإحساس بها، والروح المعطاءة المضحية، وأخلاقية العمل الاجتماعي ،في كل الدول العربية بلا استثناء ، ولا يمكن لأي عمل أن يبلغ أهدافه بيسر ونجاح كاف، وسرعة مطلوبة، إذا كان فاقداً للإدارة و الكفاءة الحكيمة ، والإمكانات المادية الكافية، والخبرات الناضجة ،والنية الخالصة،والمتابعة المستمرة، وغيرها من الوسائل التي تؤدي إلى النجاح .

لقد انتشر الاسلام واللغة العربية في ربوع العالم،بالأخلاق الفاضلة و القيم النبيلة والمواقف الانسانية

المشرفة ، وروح التضحية من أجل أداء الواجب .

وقصة انتشار الاسلام في جنوب شرق آسيا خير دليل على ذلك .

والمعروف أن جنوب شرق آسيا اسم يطلق الآن بصفة عامَّة ،على الأقاليم الواقعة بين شبه القارة الهندية وجنوب بلاد الصين، المحاطة من الشرق ببحر الصين، والجزء الجنوبي الغربي من المحيط الهادي، ومن الغرب بالمحيط الهندي وخليج البنغال، وتضمُّ البلدان الآتية : إندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، سنغافورة، بورما، فيتنام، كمبوديا، لاوس، تايلند، الصين، تركستان الشرقية، وبروناي، وهذه المنطقة قد تأثَّرت بالطابع الهندي والصيني؛ لكثرة الهجرات إليها من هذين البلدين الكبيرين ، فتأثَّرت بثقافَتَيْهما.

والحقيقة أن قصة انتشار الإسلام بلغته العربية ، في جنوب شرق آسيا ،تُعَدُّ من أعظم وأعجب قصص انتشار الإسلام في العالم؛ فالمسلمون لم يذهبوا إلى هذه المناطق الشاسعة المساحة، العظيمة السكان ، بجيوش فاتحة، ولم يخوضوا مع أهلها حروبًا تذكر، وإنما ذهبوا إليها تُجّارا، يحملون قيم و أخلاقَ الإسلام وهَمَّ الدعوة إلى اللّه، وذلك بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، فحقَّقوا القاعدة الأصيلة التي تؤكد، أن الإسلام إنما يغزو القلوب ، لا الأراضي أو البُلدان كما يزعم البعض .

فقد حمل التجار المسلمون بضائعهم،ودينهم ولغتهم ، ورحلوا من المشرق الإسلامي ، إلى تلك البلاد النائية ، عن طريق البر و البحر.

وكان لعرب جنوب الجزيرة العربية ، اليمنيِّين والعُمَانيِّين النصيب الأوفر في ذلك، فأخذوا يبيعون ويبتاعون، فوجد أهل تلك البلاد النائية فيهم الصدق، وعرَفوا فيهم العفَّة والأمانة، ثم علموا أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها؛ فحُبِّب الإسلام إلى نفوسهم؛فلم يلبثوا إلا قليلا ،حتى باتوا يَدِينُون بالإسلام، وأصبحوا من أبنائه المخلصين .٣

فإن سكان هذه البُلدان، وإنْ نَأَتْ بهم الديارُ عنا ، إلا أن رابطة الدين وميثاق الأخوَّة، يجعلهم أقرب إلينا من قِيدِ أُنْمُلَة.

إذنً لم يكن الفتح العسكري، هو الطريقة الوحيدة التي انتشر بها الإسلام، واللغة العربية في ربوع العالم ،كما يعتقد بعض الحاقدين على الإسلام. وإنما دخل الإسلام واللغة العربية إلى مناطق عديدة ، عن طريق الدعوة التي كان يمارسها التجار المسلمون؛ سواء بطريقة مباشرة ، عن طريق عرض الإسلام صراحة، أو بطريقة غير مباشرة.وذلك عندما يرى الناس أخلاق التجار المسلمين وصدقهم في الحديث، وأمانتهم وإخلاصهم وسماحتهم فى البيع و الشراء ، لأن هؤلاء التجار، كان همهم الاول هو دعوة غير المسلمين الى الاسلام ، بصدق المعاملة في البيع والشراء ، وحفظ العهود وطيب الأخلاق ،فكان الناس يعجبون بالإسلام والمسلمين ،فيدخلون فيه طواعية أفواجا أفواجا .

وكان لاتساع رقعة العالم الإسلامي ، أثره في سيطرة المسلمين على طرق التجارة العالمية آنذاك، وكانت أربع طرق رئيسة هي على النحو الآتي :

طريق الخليج العربي: يبدأ من إندونيسيا وماليزيا إلى بحر العرب، ثم إلى مضيق هرمز، فالخليج العربي إلى شط العرب، ثم بغداد و الشام و آسيا الصغرى ثم إلى أوروبا.

طريق البحر الأحمر: يبدأ من الهند شرق أفريقيا، إلى المحيط الهندي إلى مضيق باب المندب إلى البحر الأحمر، إلى خليج السويس، إلى غزة، فالإسكندرية ثم إلى أوروبا.

طريق البر الغربي: يبدأ من الهند شرق أفريقيا، برًا إلى اليمن ، إلى الحجاز إلى الشام ثم إلى أوروبا.

طريق البر الصيني: ويسمى أيضًا طريق الحرير، ويبدأ من الصين إلى الهند إلى خراسان إلى العراق إلى الشام إلى مصر، فبلاد المغرب العربي، ثم إلى أوروبا، وقد نشأ على هذا الطريق الكثير من المدن الإسلامية الكبرى مثل: طشقند، وبُخارى، وسمرقند وغيرها.

كانت القوافل التجارية المارة على هذه الطرق، تحمل البهارات والتوابل، والأحجار الكريمة والذهب، وريش النعام، والعاج واللؤلؤ من الهند والصين، وإندونيسيا وماليزيا وشرق أفريقيا والبحرين واليمن، وكانت المحطات الموجودة في آخر الطرق التجارية، هي الأماكن المعنية من بداية الرحلة؛ لأن منتجاتها هي المنتجات المرغوبة؛ لذا تطول إقامة التجار فيها، حتى يبيعوا كل ما معهم من بضائع، ثم يشتروا بضائع جديدة، و نتيجة لذلك تزداد صلتهم مع سكان هذه البلدان،

فينتشر الإسلام فيها، وأصدق مثال على هذا النوع من البلدان ، إندونيسيا وماليزيا.٤

ومن إندونيسيا انطلق الدعاة إلى الجزر القريبة منها ، لدعوة أهلها إلى الاسلام ، فدخل الإسلام إلى الفلبين، وفيتنام، وجزر المالديف؛ بينما كان بُعد جزر اليابان عن مراكز المسلمين التجارية، سببًا في تأخر وصول الإسلام إليها.

كما انتشر الإسلام في الصين، وفي شمال الهند عن طريق التجارة البرية أيضا .٥

وفي أفريقيا اتجه المسلمون نحو سواحل شرق أفريقيا، المطلة على المحيط الهندي ، وكانت هذه السواحل آخر محطات السفن التجارية، مما سهَّل انتشار الإسلام في هذه المناطق، وإن بقي الإسلام محصورًا في السواحل مثل: الصومال، وكينيا، وزنجبار، وجزر القمر، و غيرها من البلدان ، ولم يتوغل إلى الداخل ، بسبب طبيعة المناخ والغابات الوعرة.٦

وفي القرن السادس عشر الميلادي ، شجَّع السلاطين العثمانيون التجار، على التوغل داخل أفريقيا، ووفروا لهم الحماية ،فوصلوا إلى ضفاف نهر الكونغو، حيث نشروا الإسلام هنالك، وعلى طول الطرق التي سلكوها في تنزانيا، ورواندا، وبورندي وزائير. وانتشر الإسلام بواسطة التجارة البرية في دول جنوب الصحراء الكبرى مثل: تشاد، والنيجر، ونيجيريا وغيرها .

وهنالك عوامل ساعدت على انتشار الإسلام في أفريقيا مثل: تنقل بعض القبائل وراء المراعي، من جنوب الصحراء إلى شمالها، ذهابًا وإيابًا؛ حيث كثر احتكاكهم بالمسلمين أثناء ذلك ، فدخل الكثير منهم في الإسلام. وكذلك الدول التي قامت في أفريقيا ،كان لها أكبر الأثر في نشر الإسلام في الغرب الأفريقي مثل: دولة المرابطين في المغرب العربي، في القرن الخامس الهجري، ومملكة غانا الجديدة في القرن الخامس الهجري، ومملكة مالي، التي استمرت من القرن السابع، إلى القرن التاسع الهجري.وهكذا انتشر الإسلام في قارات العالم المعمور آنذاك، آسيا وأفريقيا وأوروبا فكانت الدولة الإسلامية ، هي الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، وكانت الحروب الدائرة بين المسلمين ونصارى أوروبا ،تنتهي دائما لصالح المسلمين ، حتى لو كانت الغلبة للأوروبيين في بعض الأوقات. ونستطيع أن نقول بملء أفواهنا: إنه منذ القرن الثامن الميلادي، وحتى القرن السادس عشر الميلادي ،كانت الدولة الإسلامية ، هي القوة العظمى في العالم، عسكريا و فكريًا، وعلميًا؛ واقتصاديًا، واجتماعيا، سواء في عصر خلفائها الراشدين، أو في العصر ، الأموي والعباسي و العثماني .٧

وتبعا لذلك كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية ، لأنها لغة العلم والفن والحضارة ، يحج إليها الناس من مختلف أصقاع العالم للتعلم واكتساب المعرفة . يقول الإبراهيمي: «...لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران ولو لم تكن لغة متسعة الآفاق، غنية بالمفردات والتراكيب ،لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند ،ولا لزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم بتعلم تلك اللغات ، ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغيّر مجرى التاريخ الإسلامي برمته. لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية، لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون.»٨

، ويقول أيضا: «...إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة، مدنية الخير العام والنفع العام، ولم تخدم علما خاصا بأمة، وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة، ومن يستقرئ- خاصة – هذه اللغة، لعلم الطب وحده يتبيّن مقدار ما أفاءت هذه اللغة على البشرية من خير ونفع عام . وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى، يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل، هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم، وآوته ونصرته.»٩

استقرار العربية في بلدان المغرب العربي

يقول الشيخ الابراهيمي عن استقرار الاسلام والعربية في بلدان المغرب العربي : «فلما أقام الاسلام بهذا الشمال الافريقي إقامة الأبد أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح ، ما دام الاسلام مقيما لا يتزحزح ، ومنذ ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس ، وتتساغ في الألسنة واللهوات ، وتنساب بين الشفاه والأفواه، يزيدها

طيبا وعذوبة أن القرآن بها يتلى ، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم

فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها ، وخالطت الحواس والشواعر ،وجاوزت الابانة عن الدين إلى الابانة عن الدنيا ، فأصبحت لغة دين ودنيا معا ،وجاء دور القلم والتدوين فدونت بها علوم الاسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته ، وعرف البربر عن طريقها ما لم يكونوا يعرفون ، وسعت إليها حكمة يونان ، تستجديها البيان ، وتستعديها على الزمان ، فأجدت وأعدت . وطار إلى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغة الرومان ، وزاحمت البربرية على ألسنة البربر فغلبت وبزت ، وسلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر ،واقتناع لا يد فيه للقهر ، وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار.

من قال: إن البربر دخلوا في الإسلام فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعا ، لا يمكن الفصل بينهما.١٠

لأن الصلاة لا تجوز إلا بتلاوة القرآن باللغة العربية ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن ،وإن جاز ترجمة القرآن إلى كل لغات العالم ،لدراسته وفهمه ، فإن الصلاة لا تجوز إلا بتلاوته عربيا .

ويواصل الشيخ الابراهيمي حديثه عن اللغة العربية في الشمال الافريقي قائلا :»قضت العروبة بقوتها وروحانيتها ، وأدبها ،وسمو خصائصها ، وامتداد عروقها ، على بربرية كانت منتشرة بهذا الشمال الافريقي ، وبقايا آرية كانت منتشرة فيه ،حتى نسي الناس والتاريخ أن هنا كانت لغة غير اللغة العربية ، وزاد الاسلام بيسره و لطف مدخله، وملائمة عقيدته للفطرة ، وآدابه للنفوس ، وأحكامه للمصالح تثبيتا وتمكينا للعروبة، في هذا الشمال الافريقي.وهذه الأبجدية العربية الشائعة التي حفظت أصول الدين ، وحافظت على متون اللغة ، ودونت الآداب والشرائع ، وكتبت التاريخ ، وسجلت الأحكام والحقوق ، وفتحت الباب إلى العلم ،وكانت السبيل إلى الحضارة كل هذه العوامل، صيرت هذا الشمال الافريقي عربيا ،قار العروبة على الأسس الثابتة، من دين ولغة عربية ، وكتابة عربية ، وآداب عربية «١١

ولكي تسترد العربية مكانتها بين اللغات ، يجب علينا نحن العرب أن نرتقي بأفكارنا ، وأن نسمو بأخلاقنا وقيمنا ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم – كما قال المتنبي شاعر العربية بلا منازع – حتى نكون على قدر المسؤولية ،وعليه يجب علينا :

الاعتزاز بلغتنا العربية و استعمالها في جميع الميادين

علينا أن نذكي في نفوس الناس كافة، أهمية هذه اللغة و مكانتها، و أنه لاغنى لنا عنها و اعتمادها في جميع المعاملات ،و الاوراق الادارية والشؤون الاجتماعية، و المواقع الالكترونية و غيرها ، كما يجب أن نعتز بها لا بغيرها من اللغات ،كما هو الحاصل عند بعض الناس مع الأسف، حين يتحدثون يدخلون بعض كلمات اللغات الاجنبية في جمل (تفاخرا بأنهم يتقنون لغات أجنبية) أو يستخدمون اللغة الأجنبية فقط ، في المنتديات والملتقيات والمؤتمرات و المحاضرات ،بل وحتى في الدردشة و غيرها.

ولا يتم لنا ذلك إلا إذا رجعنا إلى سلوكنا الصحيح ، سلوك الآباء والأجداد من السلف الصالح ،السلوك الحسن مع الناس ،الاستقامة والصدق في المعاملات ، عدم الكذب والنفاق والغش وما إلى ذلك من الصفات الرذيلة التي تجعل الآخر ينفر من العرب والعربية معا.

إن الشعوب الحرة التي تملك اعتزازا بنفسها وبلغتها وبثقافتها، لا تتسامح في أن تهان لغاتها ، أو تزاحمها لغة أخرى، على قدم المساواة في عقر دارها ،لتصبح لها ضرة وما أتعسها من ضرة ..

وفي هذا المجال (الاعتزاز باللغة) أقتبس هذا النص من جريدة الشروق الجزائرية ، حيث يقول كاتبه : ففي إحدى المناسبات خاطب أحد المسؤولين الفرنسيين الشعب الفرنسي باللغة الانجليزية ،فانسحب الجميع من القاعة، فوجد نفسه وحده بالقاعة ، لأنهم رفضوا أن تداس لغتهم أو تهان أمامهم ، لأنها جزء من كيانهم .

وعندما فكرت الجزائر سنة ١٩٦٩، في إدراج اللغة الانجليزية في السنة الرابعة، من المرحلة الابتدائية بدل اللغة الفرنسية ، أرسلت فرنسا وزيرا إلى الجزائر ، فالتقى كبار المسؤولين بمدينة بشار ، وتحاور معهم

في مختلف القضايا الثقافية والتعليمية، وقال لهم : سمعنا أنكم تميلون إلى اللغة الانجليزية ،ولهذا نحن نطلب منكم أن تبقوا محافظين على اللغة الفرنسية، ونمسح عليكم ديوننا والمقدرة بسبعة مليارات . ولا يخفى على أحد وجود المراكز الثقافية الفرنسية، في معظم المدن الجزائرية ، فإن دل هذا على شيء ،إنما يدل على اعتزاز الفرنسيين بلغتهم والعمل على نشرها بكل السبل المتاحة لهم ، باعتبارها جزء من كيان الأمة الفرنسية ، وإصرارهم على بقائها في الجزائر .١٢

ويجب تعريب كل ما يمكن تعريبه

التعريب نقطة مهمة في مجال تطوير اللغة العربية ،و المحتوى العربي لما فيه من نقل علوم وغيرها و هو ينقسم الى مجالين :

١) تعريب المصطلحات

تعريب المصطلحات أمر ضروري و لا بد منه ،حتى يتسنى لنا تطوير اللغة العربية ،و الانفصال عن تبعية اللغة الغربية ،و المعروف عن العربية قدرتها على استيعاب مصطلحات العلوم والفنون والحضارات.

٢) تعريب البرامج و التطبيقات و البحوث و المعارف

هذا الجزء من التعريب ،لا يكتمل إلا باكتمال الجزء الاول ، و هذا التعريب هو مهم جدا، بحيث يكون فيه تعريب جميع البحوث التي لم تعرب، و كل المعارف التي لم تعرب ،و أيضا التطبيقات و الأدوات التي لم تعرب و غيرها ...

ولا ننسى المراكز الثقافية ودورها في نشر اللغة العربية في العالم

تعليم اللغة العربية للأجانب

العمل على تعليم اللغة العربية لغير العرب في بلدانهم مجانا ، عن طريق خدمات المراكز الثقافية ، مع تنويع طرق التعليم ، بين التعليم المباشر وغير المباشر ، كالمسرحيات والحفلات والندوات والمحاضرات وغيرها مما يدخل في نشاطات المراكز الثقافية . فإذا نهضنا بلغتنا وهي اللغة التي أنزل الله بها كتابه الكريم للبشرية قاطبة ، فإننا في الحقيقة ننهض بديننا- لأنهما وجهان لعملة واحدة ، هي عزة العرب ،و إن تركناها و لم نسعى للنهوض بها ،فإننا في الحقيقة نعْرِض عن ديننا ،و نتركه للأعداء يتربصون به وينالون منه ، فاللغة و الدين أمران لا غنى لأحدهما عن الآخر.

لقد ساعدت اللغة العربية – منذ نزل بها القرآن على نحو خاصٍّ هذه الأُمَّةَ (العربية) على تشكيل هُوِيَّتها، وعلى التفتُّح على ثقافات العالم السابقة عليها والمُعاصرة لها، وقد كان شعارها في التفتُّح، ذلك الأثر العربي القائل: «ليست العربية من أحدكم بأبيه ولا بأمِّه، وإنما العربية لسان، فمَن تكلم العربية، فهو عربي» ١٣ ولقد فتح هذا الشعار الباب أمام كلِّ الأجناس والأعراق، لتحمل شرف الانتِماء إلى العربية، من خِلال تعلُّم اللسان العربي، فتسابَق أبناء الحضارات والأعراق الأخرى ،ممَّن عاشوا في كنف الإمبراطورية الإسلامية، إلى إجادَة العربية، والتسابُق في الإبداع ووضْع المؤلَّفات بها، وشارَكُوا في وضْع أسس قواعد مختلف العلوم العربية والإسلامية بها، وأصبحت أسماؤهم رموزًا بارِزة في بعض فروع المعرفة، كما كان اسم (سيبويه) في النحو، و(الجرجاني) في البلاغة، و(البخاري) في الحديث، و(الزمخشري) في التفسير، وهكذا اتَّسع مفهوم (العربية) وثقافتها لكي تتجاوَز الجنس العربي ،إلى ثقافة الإمبراطورية الإسلامية ،التي لم تقتَصِر فقط على علوم اللغة والدين ، وإنما امتدَّتْ من خلال اللغة إلى الثقافة العلميَّة الإنسانية ،في الطب والجراحة، والرياضيات والجبر، والفلك والصيدلة، وظلَّت ترجمات الكتب العربية لأعلام مثل: الزهراوي، وجابر بن حيَّان، وابن الهيثم، وابن النفيس وغيرهم ،تُشارِك في تمثيل كتب المعرفة العلميَّة ،في الجامعات الأوروبية ،حتى القرن الثامن عشر، انطِلاقًا من اتِّساع المفهوم، وثراء المعرفة، وإثراء اللغة العربية، واستخدامها في المجالات الحيَّة للعلوم والحياة.

وقد استطاعت اللغة العربية في فتْرة انطِلاقِها وتوسُّعها، أن تُمَثِّل نموذج اللغة التي يحرِص المثقَّفون من غير أبنائها، على أن يتحلَّوا بمعرفتها، بل استعارَتْ حروفَها كثيرٌ من اللغات الأخرى – وخاصَّة اللغات الإسلامية – لكي تكتب بها كلماتها، ومن بينها اللغة

الفارسية في إيران وأفغانستان، واللغة الأوردية في الهند وباكستان، اللتان كانتا - وما تزالان - تُكتَبان بالحروف العربيَّة، لكن بعض اللغات الاسلاميَّة الأخرى ،كانت تكتب بالحرف العربي، وتخلَّت عن ذلك الحرف في القرن العشرين ؛ نتيجةً للتخطيط المُحكَم ،لمُحارَبة العربية . وفي مقدِّمة هذه اللغات ،اللغة التركية ،التي غيَّرت حروفها من العربية إلى اللاتينية، بعد سقوط الخلافة العثمانية، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتبعَتْها في ذلك اللغات المنتَشرة، في سهول آسيا الإسلاميَّة، في منطقة تركستان، والتي تَقاسَم النفوذ عليها، الصين والاتِّحاد السوفيتي السابق، بعد الحرب العالمية، وحاولوا - بتَخطيط مُحكَم وبثورة ثقافية على مَدَى نحو ثلاثين عامًا - إزالة الحرف العربي وتجريم الكتابة به، كما حدث الشيء نفسُه في اللغات الإفريقيَّة ،التي كانت تُكتَب بالحروف العربية، وعلى رأسها اللغة السواحلية في شرق إفريقيا، والتي ظلَّت تُكتَب بحروف عربية حتى سنة ١٩٦٤، حينما صدر قرار بإزالة الحروف العربية، ووضْع اللاتينية مكانها في هذه اللغة، وحدَث ذلك في اللغات الإسلامية في غرب إفريقيا.

يقول الشيخ الابراهيمي :كانت اللغة العربية -في جميع الأوقات- مستودع آداب الشرق، وملتقى تياراته الفكرية، وما زالت صالحة لذلك لولا غبار من الإهمال علاها، وعاق من الأبناء قلاها وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها، وهي قبلَ وبعدَ كلّ شيء، حاضنة الإسلام، ودليله إلى العقول، ورائده إلى الأفكار، دخلت به إلى الهند والصين، وقطعت به البحار والفلوات، وفيها من عناصر البقاء ومؤهلات الخلود، ما يرشحها للسيطرة والتمكن، فقد احتوتها الرطانات من كل جانب، ودخلت عليها دخائل العجمة واللكنة، فما نال كل ذلك منها نيلا، وإن لغة يصيبها أقل مما أصاب اللغة العربية، من عقوق أبنائها، وحرب أعدائها، لحقيقة بالاندثار والفناء، ولكنها لغة العرب..١٤.

إن اللغة عندما تكتسب صفة العالمية ،تصبح مورد اقتصاد مهم جدا ،فالناس يأتون إليها من جميع أنحاء العالم ،لتعلمها والتمتع بحضارتها في موطنها الأصلي ،لأنها لغة العلم والحضارة – كما هو الشأن اليوم مع اللغة الإنجليزية -، ومن أجل ذلك أخذت الدول في العصر الحاضر تنفق الملايين من الدولارات ، وتتنافس في إنشاء المراكز الثقافية ، في مختلف عواصم دول العالم ، من أجل نشر لغاتهم، لدى الشعوب الأخرى .

والهدف الأسمى من إنشاء هذه المراكز ، ليس تعليم الناس لغة البلد الذي أنشأ هذه المراكز الثقافية فحسب ،وإنما هو هدف اقتصادي أيضا.

فالذي يتعلم لغة قوم ، لا شك أن هذه اللغة ستقنعه – لا محالة- بحضارتها وقوتها ومقدرتها على صنع الحضارة ،فيصبح من المعجبين بها والمدافعين عنها ،ومن ثمة إذا أراد الشخص أن يذهب للسياحة أو التسوق ،فلا بد أن يختار البلد الذي يحسن لغته ، وهو حال العرب اليوم ، فأهل المشرق يتوجهون إلى بريطانيا أو أمريكا ، وأهل المغرب العربي يتوجهون إلى فرنسا لأنهم يتقنون اللغة الفرنسية..وعلينا أن نتخيل أثر ذلك على اقتصاد البلد. فجل واردات بلدان المغرب العربي تأتي من فرنسا ،لأن شعوب هذه الدول ،تتقن اللغة الفرنسية أكثر من أية لغة أخرى ،وواردات دول الشرق الأوسط ، تأتي من أمريكا وبريطانيا ،لأن شعوب هذه الدول مولعة باللغة الانجليزية ، وهكذا ..

إقحام اللغة العربية في كل صغيرة و كبيرة

يجب استخدام اللغة العربية في كل شيء صغيرا كان أم كبيرا ، حتى يعرف العالم، أن لغتنا ليست مجرد لغة تستعمل في العبادات ، و إنما هي لغة الدين والدنيا معا .

انشاء مؤسسات مختصة في تعريب و تطوير اللغة العربية و المحتوى العربي.

التشجيع والتحفيز على التأليف بالعربية في جميع العلوم والفنون ،لأن الكتابة والتأليف جزء من تطوير اللغة العربية، فكلما كثرت المؤلفات باللغة العربية ،كان تطور اللغة العربية أفضل .

البرمجة باللغة العربية :

الكثير من المبرمجين يعتمدون اللغة الانجليزية في برامجهم وتطبيقاتهم ،مع أنهم يعلمون أنها موجهة الى مستخدم عربي ،فلماذا الانجليزية أو الفرنسية ،واللغة العربية

موجودة وطيعة مرنة . فإذا كانت الإرادة موجودة فلا يوجد المستحيل .

فلنعمل للغتنا بأنفسنا، ولنسكب عليها عصارة أرواحنا، ولنضاعف جهودنا، ولنشحذ عزائمنا، ولنوجه كلّ قوانا لخدمتها والذب عن حرماتها.

المراجع

١ - مقدمة ابن خلدون
٢ - سورة آل عمران ، الاية ١٠٤
٣ – مصطفى رمضان، الإسلام والمسلمون في جنوب شرق أسيا
٤ – نفسه
٥ – نفسه
٦ – تاريخ التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ج٢
٧ – تاريخ الشعوب الاسلامية ، كارل بروكلمان ،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي
٨ -آثار الابراهيمي ، ج ١
٩ – المرجع نفسه
١٠ - محمد البشير الابراهيمي – عيون البصائر ج٢
١١ – الابراهيمي المرجع نفسه .
١٢ - نقلا عن جريدة الشروق ، مقال بعنوان :تعريب المدرسة نجاح، وفرنستها مستحيلة ، بقلم د. عبد القادر فضيل ، عدد ٤٤٥٦ ، بتاريخ ٢٠١٤/٠٨/٠٤ .
١٣ - رواه ابن عساكر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً».
١٤- الابراهيمي ، عيون البصائر ...